قالت العرب

الشهر

العدد 330 – السنة الثانية عشرة- الأحد 30 يوليو 2023 م- 12 محرّم 1445 هـ

الزمن الأحمر يا ولدي / وعجاف البقر الأبيض يا بن أبي يأكل كل حقول الأرض / فكل الكون على عزف الزمن الأحمر يحتضر / يابن أبي هذا غيض من فيض / سيفنى الناس / ويفنى الوسواس الخناس ولكن مافي الجبة أحد

شركاء الدم يهللون (اللّه أكبر) كلما قتلوا روحا بريئة

د.إشراقة مصطفى حامد: المتصارعون فى السودان قطع شطرنج

يشهد التاريخ الإنسانى قديمه وحديثه أن ويلات الحروب والنزعات المسلحة والحروب الأهلية تلقى بظلال كارثية على المرأة، فعلى الرغم من أنها ليست كائنا ضعيفا وتملك القدرة على المواجهة، لكن تحالف الآلام والمصائب عليها بدءا من فقدان الأمن والأمان ومرورا بالفرار والتشرد وانتهاء بالضغوط الإقتصادية والتعرض لانتهاك حرمتها وحرمة أسرتها، وقد شهدت السنوات الأخيرة عربيا بسبب الحرب فى سوريا واليمن وليبيا والعراق ولبنان هجرات وتشردات ومآسى وكوارث لحقت بالمرأة وأبنائها.

والآن الحرب فى السودان تفعل نفس الفعل، وما نراه على حدود الدول المجاورة للسودان من فرار النساء والفتيات والأطفال أمر كاشف للويلات التى عانت وستعانى منها المرأة السودانية التى قضت الحرب أمنها وأمان أسرتها. وفى هذا الحوار مع الكاتبة والأكاديمية الناشطة السودانية فى مجال حقوق المرأة وخاصة المرأة السوداء د.إشراقة مصطفى حامد نلقى الضوء على أوضاع المرأة السودانية فى ظل هذه الحرب الدائرة.

الصراع تديره محاور دولية وإقليمية والشعب السودانى بين سندان ومقصلة

السودانيات عانين مرارات تحتاج إلى مسودات توثق القمع الذى واجهنه بصبر أثناء الحروب

من المهم أن نتساءل عن مصادر السلاح الذى يقاتل به الجنرالات

بداية تشير د. إشراقة مصطفى إلى إن الحرب الدائرة الآن ليست الحرب الأولى فى السودان، وتقول «سبقتها حروب ضروس فى غرب البلاد وفى جبال النوبة والنيل الأزرق ومن قبل جنوب السودان قبل إنفصاله، حيث عانت النساء مرارات تحتاج إلى مسودات توثق القمع الذى واجهته بصبر أثناء تلك الحروب، بل تم لأول مرة استخدام الاغتصابات كسلاح حرب، وفى هذا السياق لا يمكن المرور دون الاشارة الى الجنجويد الذى يقوده نائب رئيس مجلس السيادة محمد حمدان دقلو المعروف بحميدتى الذى كان متحالفا مع البرهان الذى قاد الحرب أيضا فى دارفور. لا يمكن الحديث عن ما يحدث الآن بمعزل عن ماعايشته النساء السودانيات من قهر وقمع وبطش فى ثلاثين عام عجاف من حكم الإسلامويين وشرعنتهم لسياسة القهر بالقانون.

وتضيف «مشاركة النساء فى مقدمة الثورة أكبر دليل على عزيمتها للتخلص من القمع وتحقيق المشروع الوطنى حيث ينعم الجميع بالحرية والسلام العادل والتحول الديمقراطى الذى لم يكن ممكنا فى ظل اللجنة الأمنية لحكومة البشير. إشتعلت الحرب حين تضاربت المصالح بين الجنرالات ودفع الانسان السودانى بشكل عام الثمن، وبشكل خاص النساء. التأثير على حياتهن التى من الممكن أن تنهيها رصاصة طائشة فى حرب الشوارع. لم يعد الأمر العاجل الآن حريتها بل حياتها، وبالتأكيد لا يمكن فصل الحياة عن قيمة الحرية، ولكن فى ظل الحرب يصرخ الجميع، الأمهات، البنات الصغيرات، الحوامل والرضع وكبيرات السن. فى الحرب يخسر الجميع وليس هناك منتصر. النساء بائعات الأطعمة اللاتى لا سبيل لهن غير العمل ليطعمن صغارهن وقد تم قتل ثلاثة منهن حتى الآن كما توافد فى الأخبار من السودان. الوضع عموما مأساوي، مجاعة قادمة إن لم تكف الحرب عن جنونها. لا ننسى النساء اللاتى يتلقين علاجا يوميا فى المستشفيات التى طالها الخراب، وبالتالى تعرضت حياتهن للخطر خاصة اللاتى يتلقن جرعات لمقاومة السرطان أو غسيل الكلى أو اللاتى يمنحن حياة جديدة تمتزج فيها صرخة الحياة الأولى للمواليد الجدد بهدير المدافع وأزيز الطائرات المرعبة، تماما كالصور البشعة التى نشاهدها مثل امرأة فى حالة ولادة، قتلتها شظيه فى لحظة صرخة مولودها. هل كانت تحسب لذلك وهى تعد أفراحها للقادم؟ مثل الأم التى ظلت تلهج بالدعاء لأجل ابنها طالب الطب متحملة ألم شظية اخترقت رقبتها فى بيتها حيث أمنها وأمانها. مات الابن ولحقت به الأم فى اليوم التالي. هذه مشاهد عادية للأسف ومتوقعة، وتكفى الجثث المرمية على الطريق أو طالب الجامعة الذى دفن على ترابها.

جيوش بدلا من جيش!

وحول ما إذا كانت تعتقد أن الحرب الدائرة وراءها محاولة لاستمرار نظام حكم البشير وحركة الإخوان المسلمين تؤكد د. إشراقة مصطفى: «بالتأكيد وراءها الإسلاميون الذين شكل لهم البرهان حماية وحميدتى الذى فتحوا له الابواب على مصرعيها ليكون فى البلاد جيوش بدلا عن جيش واحد له عقيدة واحدة وموحدة تجاه الوطن وحماية المواطن. معروف إن حكومة الإنقاذ مكنت من تريدهم عبر سياسة التمكين التى صفت القوات المسلحة من الوطنيين، طالتهم يد الصالح العام وأصبح الدخول لهذه المؤسسة مشروط بالأنتماء أو الولاء للاسلامويين. مراجعة التاريخ يجعل الصورة أكثر وضوحا منذ أن استدعى البشير حميدتى ومقولته تلك الشهيرة (حميدتى حمايتي) وماقاله البرهان (إن قوات الدعم السريع وُلدت من رحم القوات المسلحة)، مهدوا له الطريق، عبدوه لمزيد من الجثث التى لم تبدأ بمجزرة فض الإعتصام فى التاسع والعشرين من رمضان فى ٢٠١٩، ولم تنته منذ سنوات حيث كانت فيها البنادق موجهة لصدور الثائرات والثوار.

وتلفت د. إشراقة إلى أن فى السودان ميليشيات عديدة، كتائب الظل والدفاع الشعبى والدعم السريع وما خفى أعظم. وللإسلامويين دور كبير خاصة إنهم مازالوا متمددين فى مفاصل الدولة التى تنهار الآن قبل أن تكتمل ملامحها مجسدة أحلام ثورة ديسمبر المجيدة. استثمر الإسلاميون بحماية الجنرال البرهان فى قائد الدعم السريع حميدتى الذى قمع انتفاضة ٢٠١٣ وذات حميدتى الذى تم تفويضه لتجنيد عدد مهول من اليفع السودانيين الذين لا خبرة لهم فى الحروب وتسفيرهم لليمن مستغلين حاجتهم للمال لتصفية الدم اليمني. أن ذلك يندرج تحت الإتجار بالبشر. إن ما يحدث فى السودان تديره محاور دولية وإقليمية لا تعدو سوى أن تكون قطع شطرنج فى يد هذه المحاور العظمى لاستنزاف ثروات السودان الخام من الذهب، الفضة، الزنك، الحديد والنفط، النحاس وغيرها من المعادن. من المسؤول عن شرعنة الجنجويد ومنحهم حاضنة إجتماعية؟.

وتوضح مصطفى «دفع الإتحاد الأوربى أموالا طائلة لحكومة البشير لتنفيذ ما عُرف بعملية الخرطوم التى تهدف إلى إيقاف ما أطلقوا عليه (الهجرة غير الشرعية)، وقامت بعض دول الاتحاد الأوروبى بتدريب قوى عسكرية لعسكرة الحدود فى الوقت الذى تستمر انتهاكات حقوق الإنسان الشيء الذى يدفع للهجرة القسرية، وهذا ما يحدث الآن فى المناطق التى استهدفتها حرب العصابات. من المهم أن نتساءل عن مصادر السلاح الذى يقاتل به الجنرالات، ومعلوم إنه ليس هناك مصانع أسلحة فى السودان. مالذى فعله حميدتى فى روسيا قبل ساعات من اندلاع الحرب الروسية ضد أوكرانيا؟ للحرب وجوه عديدة، شكلتها شهوة الثروة والسلطة. من البديهى إن أى إنسان عاقل يحلم بقوات شعب مسلحة موحدة، شعارها الوطن وحمايته وبعيدة عن الأدلجة والعمل السياسى وقد كان الشارع واعيا عبر هتافاته (العسكر للثكنات والجنجويد ينحل) أو الهتاف الواضح وصريح (مافى مليشيا بتحكم دولة). نلاحظ وعى الثورة الذى نادى بجيش واحد يحرس شعبه وتطلعاته المتمثلة فى أهداف ثورة ديسمبر المجيدة: حرية سلام وعدالة ومدنية خيار الشعب. هل ذهب كل ذلك أدراج الرياح؟ أؤمن بقدرات الشعب السودانى والوطنيين فى صفوف الجيش وإن تمت إزاحتهم.

وترى إن مفتاح عملية الإصلاح لمنظومة القوات المسلحة يتمثل فى جيش ذى عقيدة موحدة تراجع تجربتها فى قتل وسحق الجماهير التى لا تحمل سوى احلامها وتطلعاتها، فما قام به الجيش المؤدلج هو نفسه ماقام به حميدتى وبقى الشعب السودانى بين سندان ومقصلة. الحل فى إيقاف الحرب فورا، ليس فى الحرب منتصر، فى الحرب الكل مهزوم، لذا على القوى السياسية أن توحد صفوفها وأن تراجع تجربة التفاوض والشراكة مع العسكر بذهن منفتح ووعى نقدي، وأن تسعى جادة إلى إصلاحها داخليا حتى تخرج السودان من فوهة البندقية إلى رحابات الحياة الكريمة وآمنة. إن لم تقف الحرب والتفت السودانيات والسودانيون حول برنامج وطنى يحفظ للجميع حقوقهم بسيادة القانون، فهذا مدعاة ليس فقط للهيمنة على السودان لموقعها المتميز بل كل المنطقة، فمن المستفيد من ذلك؟ من؟ ولا أحد يعرف عدد الضحايا الذين قتلتهم أسلحة الجنرالات، من رصاص وقنابل وقصف الطيران بأسلحة ثقيلة بشكل عشوائى راحت على اثره أرواح وتهدمت البنيات التحتية هذا غير الرعب الذى سببته هذه الحرب للصغار قبل الكبار. الغريب فى الأمر يهلل شركاء الدم (الله أكبر) كلما قتلوا روحا بريئة. لا سبيل سوى تكوين جبهة مناصرة عريضة لأجل السلام مسنودة بتضامن حقيقى من العالم المحب للسلام.

وترى د. إشراقة مصطفى أنه من المؤسف إن ضعف مشاركة المرأة فى المشهد السياسى السودانى بعد الثورة وكذلك تهميشها فى اتفاقية جوبا للسلام ساهم فى اقصائها من صناعة القرار السياسيى. أربع وزيرات وإمرأتان فى مجلس السيادة، واجازة الوثيقة الدستورية دون مشاركة واسعة للنساء رغم إن العالم يشهد إن قرابة السبعين فى المئة أيام الثورة كن نساء. تحملن الضرب والاعتقالات والتحرشات من ذات الجيش المؤدلج والدعم السريع خاصة. هنا لا بد أن ألفت الانتباه إن هتاف الشارع كان عاليا بأنه (لا تفاوض، لا مساومة ولا مشاركة) مع العسكر، وقد أثبتت التجربة فشل ما تم وأدى ذلك إلى الإنقلاب الأخير فى ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٢. لا يمكن أن يكون هناك إحلال للسلام، لذا من الصعب فى ظل الحرب تفعيل قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ المرتبط بتفعيل دور النساء فى عمليات السلام والأمن، لأن الأمن والأمان معدوم خاصة مع ممارسة العنف المفرط تجاههن، إذ يصعب توفير بيئة آمنة لهن خاصة إن كل الخطط التى تم وضعها أصبحت فى مهب الرياح، إن كل ذلك لن يتم ما لم تقف الحرب وليس فقط وقف إطلاق النار.

وتشدد على أنه رغم كل هذه الظروف القاهرة تلعب النساء السودانيات دوراً عظيما لوقف الحرب وتضع الخطط لإدارة النزاعات رغم كل العوائق الاجتماعية والسياسية، والوضع الاقتصادي، إذ يصعب التواصل عبر الميديا الإجتماعية مع انقطاع التيار الكهربائى ليتواصلن مع النساء السودانيات فى الدياسبورا اللاتى تحركن فى جهات عديدة لعكس ما يحدث فى السودان من حرب عصابات يدفع الإنسان ثمنها فادحا، أرواح زُهقت وتشريد من بيوتهم ورعب الأسلحة التى تزأر فوق رؤوسهم إضافة لما يهدد البلاد من مجاعة.

وتتابع مصطفى إن إيقاف الحرب أول الأهداف التى تعمل عليها العديد من النساء وخاصة النساء المهاجرات إذ تم تكوين أجسام عديدة يحاول بعضها أن يخلق تشبيكا ولوبيا يضيء ما عتّمه الإعلام. تكونت مثلا (سودانيات مهاجرات ضد الحرب) وشملت نساء من دول عديدة، النمسا، بريطانيا، كندا، أمريكا، فرنسا، أستراليا والسويد. شبكة تعكس قدرات النساء ووعيهن المجتمعى باهمية إيقاف الحرب والمساهمة فى إحلال السلام، ووضع خطط وآليات عمل تعمل على تمكين مشاركتها لاحقا فى بناء السلام والفضاءات الآمنة للنساء. هذا كله يتطلب سيادة حكم القانون والمواطنة.

وختاما وحول رؤيتها للانسحاب الدولى من السودان عبر إجلاء معظم الدول لرعاياها وتأثيره على الشعب السودانى، تقول «الدول المحترمة تحترم مواطنيها وتحمى حقهم فى الحياة. الانسحاب طبيعي، ولكن هذا يتعارض مع حقوق الانسان التى لا تتجزأ. الأمر بالتأكيد ليس بالتمنى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من السودانيات والسودانيين العالقين بين مشاجب الموت والموت. أما كان ممكنا أن تعبأ هذه الطائرات بالأدوية الضرورية والأغذية وهى قادمة لإنقاذ مواطنيها؟ أين التضامن بين الشعوب. إن الأجلاء كان مؤشر لجدية هذه الحرب العبثية، مؤشر إلى حافة الهاوية التى ستبتلع الجميع إن لم يقف إطلاق النار والالتزام بذلك تمهيدا لإيقاف الحرب.

حوار - محمد الحمامصي

د.أحمد عدلي: «تدوير القاتلين» مؤشر صراعات مترابطة يطيل أمدها «مفسدو السلام»

هذه الدراسة «الصراعات المتشابكة.. تداعيات الترابط بين النزاعات الإقليمية والعالمية» للباحث د. أحمد عدلى رئيس تحرير مرصد إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، تحاول معالجة ظاهرة قد تبدو جديدة بالنسبة لأبرز الصراعات الدائرة فى العالم فى الوقت الراهن، وهى ظاهرة الترابط، حيث تحاول استعراض المؤشرات التى تدلل على وجود علاقات ارتباط بين الصراعات، وأسباب حدوث هذه الظاهرة، وأبرز تداعياتها. وتستعين الدراسة بشكل أساسى بخمسة صراعات أساسية، هى الصراعات القائمة فى كل من: سوريا، والعراق، واليمن، وليبيا، وأوكرانيا، لمعالجة الظاهرة محل البحث والتحليل.

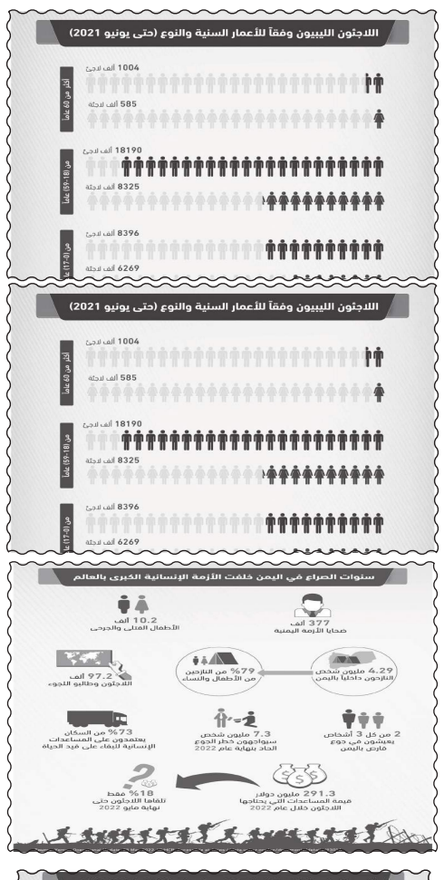

الدراسة الصادرة عن إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية بأبوظبي، يكشف فيها عدلى أن الترابط بين ساحات الصراعات القائمة حاليا، يأخذ أشكالا وصورا عديدة لا تقتصر على الشكل العسكرى الذى يعد الشق الأهم فى أى صراع، لكنها تمتد لتشمل أبعادا سياسية واقتصادية واجتماعية. وتعتبر الأبعاد العسكرية هى المؤشرات الأكثر وضوحا لإظهار مدى الترابط بين الصراعات، ويمكن النظر إليها على أنها المؤشرات المباشرة المعبرة عن الترابط بين الصراعات، ويظهر ترابط الصراعات عسكريا من خلال دوران المقاتلين من صراع إلى صراع آخر، ويعتبر المرتزقة السوريون المثال الأشهر لذلك، حيث وظفتهم تركيا بكثافة فى بؤر الصراعات التى تنخرط فيها.

يستعرض عدلى مؤشرات دالة عديدة على هذه الظاهرة الترابطية بين الصراعات، ومنها التكامل العسكرى بين البؤر الصراعية، حيث إن الأبعاد العسكرية هى المؤشرات الأكثر وضوحا لإظهار مدى الترابط بين الصراعات، ويدرج تحت هذه النقط: دوران المقاتلين من صراع لصراع آخر، موضحا أن العديد من الأطراف المنخرطة فى صراعات إقليمية ودولية حرصت على مدار السنوات الأخيرة على استقدام مقاتلين موالين لها فى أحد الصراعات للمشاركة فى صراع آخر، بما يمكن تسميته بظاهرة «دوران المقاتلين»، ويعتبر المرتزقة السوريون المثال الأشهر على ذلك، حيث وظفتهم تركيا بكثافة فى بؤر الصراعات التى تنخرط فيها، على غرار ما حدث فى صراعى ليبيا وإقليم ناجورنى كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا، بشكل حول ذلك الأمر ذلك الأمر إلى ظاهرة شبيهة بالحالة الأشهر فى الإقليم، وهى اعتماد إيران على ميليشيات مسلحة يعملون كوكلاء لها فى الساحات التى تحاول طهران خلق نفوذ لها فيها.

ويتابع عدلى القول «لقد تم الكشف عن اعتماد تركيا المتزايد على هذه الأداة من خلال التقارير العديدة التى صدرت عن المرصد السورى لحقوق الإنسان. حيث تشير تقديرات المرصد الصادرة فى ٩ مايو ٢٠٢٢ إلى تواجد نحو ٧ آلاف مرتزق من مختلف تشكيلات الفصائل السورية المعارضة الموالية لتركيا فى ليبيا. ولطالما ندد الجيش الوطنى الليبى بقيادة المشير خليفة حفتر فى فترات سابقة بقيام تركيا بإرسال المرتزقة السوريين لليبيا. كما سبق وأشار المرصد إلى مقتل ٢٩٣ مقاتلا من أصل ٢٥٨٠ من المرتزقة السوريين الذين أرسلتهم أنقرة لدعم أذربيجان فى حربها الأخيرة ضد أرمينيا فى إقليم ناجورنى كاراباخ. واتهمت الحكومة الأرمينية تركيا فى أكثر من مناسبة بإرسال مرتزقة سوريين لدعم أذربيجان، وطلبت من حلف الناتو التدخل لوقف هذا الأمر. وتحدثت تقارير كذلك عن إرسال أنقرة مرتزقة سوريين للقتال فى الحرب الأوكرانية بجانب كييف ضد موسكو. ولم يتوقف توظيف المرتزقة السوريين فى الصراعات على الجانب التركي، فقد تحدث المرصد السورى لحقوق الإنسان، فى مارس ٢٠٢٢ عن عملية لتسجيل أسماء الراغبين فى التوجه إلى أوكرانيا والمشاركة فى العمليات العسكرية الدائرة هناك، سواء من قبل فصائل الجيش الوطنى الموالى لتركيا أو من المرتزقة الموالين لروسيا».

ويضيف فى ذات الإطار أن الطائرات المسيرة تعتبر السلاح الأشهر الذى تستخدمه إيران ووكلاؤها فى صراعات الشرق الأوسط. وقد حذرت الولايات المتحدة فى مناسبات عديدة فى السنوات الأخيرة من التهديد الذى يشكله استخدام إيران ووكلائها للمسيرات. مثلا، أشار قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال كينيث ماكنزي، فى شهادته فى أبريل ٢٠٢١ أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الأمريكى إلى أن "الطائرات المسلحة بدون طيار الصغيرة والمتوسطة الحجم التى تنشرها إيران ووكلاؤها تشكل تهديدا جديدا ومعقدا لقواتنا وقوات شركائنا وحلفائنا». وفى ٨ نوفمبر ٢٠٢٢ أكدت أوكرانيا أن لديها أدلة على استعانة روسيا بمدربين إيرانيين على تشغيل طائرات بدون طيار تستخدم لضرب أهداف مدنية فى أنحاء البلاد، فى هجمات مدمرة. وقال وزير خارجيتها، إنه تحدث مع نظيره الإيراني، وطالب إيران بوقف إمداد روسيا بالأسلحة. وكان وزير الخارجية الإيرانى قد اعترف، فى ٥ نوفمبر ٢٠٢٢ بأن إيران قامت بالفعل بتصدير عدد قليل من الطائرات من دون طيار إلى روسيا، قبل اندلاع الحرب، لكنه نفى، فى الوقت نفسه، قيام بلاده بتزويد روسيا بطائرات مسيرة بهدف استخدامها فى الحرب ضد أوكرانيا.

ويشير عدلى إلى أن البؤر التى تعايش صراعات غالبا تعانى أوضاعا سياسية غير مستقرة نتيجة الخلافات الممتدة على السلطة بداخلها، حيث يوفر غياب الاستقرار السياسى مناخا داعما لحدوث مثل هذه الصراعات، سواء بين أطراف داخل الدولة أو بين الدولة ودولة أخرى. وتعد حالة الصراع السورى المثال الأشهر، حيث أدى الصراع المسلح بين النظام السورى وخصومه من قوى المعارضة منذ مارس٢٠١١ إلى استمراره لفترة زمنية تجاوزت العقد من الزمن، كما وفر مدخلا لأطراف خارجية عديدة للتدخل فى الصراع، حيث يوجد حضور لخمسة جيوش أجنبية فى البلاد كما أعلنت الأمم المتحدة فى مناسبات عديدة على لسان مبعوثها جير بيدرسون. وقد تمكنت المعارضة من إنشاء حكومة مؤقتة فى الشمال السوري، وتحديدا فى المناطق التى يسيطر عليها الجيش التركى وحلفاؤه من الفصائل المسلحة، وتتكون هذه الحكومة من سبع وزارات وتدير من ولاية غازى عينتاب التركية. وبطبيعة الحال، فإن تركيا توظف هذه الحكومة لخدمة مصالحها فى الشمال السوري.

ويقول أيضا: العراق يعيش أزمة سياسية منذ عام ٢٠٠٣ وتظهر هذه الأزمة بشكل جلى فى أعقاب كل انتخابات تشريعية تجرى فى البلاد، وتحديدا فى عملية تشكيل الحكومة. فمثلا استغرق تشكيل أول حكومة دائمة للعراق، بموجب انتخابات ديسمبر ٢٠٠٥ خمسة أشهر، كما استغرق تشكيل ثانى حكومة دائمة للعراق تسعة أشهر بموجب الانتخابات التشريعية التى جرت فى مارس ٢٠١٠ واستغرق تشكيل ثالث حكومة دائمة للعراق حوالى أربعة أشهر بموجب الانتخابات التشريعية التى جرت فى أبريل ٢٠١٤، كما استغرق تشكيل خامس حكومة خمسة أشهر بعد الانتخابات التى جرت فى مايو ٢٠١٨، كما تم تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة محمد شياع السودانى بعد مرور أكثر من عام على الانتخابات التى جرت فى أكتوبر ٢٠٢١، وقد وفرت الأزمة السياسية التى يعانى منها العراق منذ عام ٢٠٠٣ الحاضنة المجتمعية لظهور تنظيم داعش، وتمكين هذا التنظيم من توسيع نطاق حضوره، خاصة فى المناطق السنية.

ليبيا واليمن

كما تعانى ليبيا منذ بداية أزمتها فى فبراير ٢٠١١ من صراع سياسى محتدم، وظهر هذا الصراع بوضوح بعد الإعلان، عن مقتل الرئيس معمر القذافى فى ٢٠ أكتوبر ٢٠١١ حيث تم تشكيل المجلس الوطنى الانتقالى بعد ثلاثة أيام من مقتله، وجرت أول انتخابات تشريعية فى ٧ يوليو ٢٠١٢ وتخللتها أعمال تخريب وعنف فى شرق البلاد، وسلم المجلس الوطنى الانتقالى سلطاته بعد هذه الانتخابات إلى المؤتمر الوطنى العام. ثم أصبح فى ليبيا بعد عام ٢٠١٤ برلمانان وحكومتان.

ويرى عدلى أن الأمر ذاته ينطبق على الحالة اليمنية، حيث قوضت احتجاجات عام ٢٠١١ حكم الرئيس الأسبق على عبدالله صالح، وأحدثت هذه الأزمة انقسامات فى الجيش، وسمحت لتنظيم القاعدة فى شبه جزيرة العرب بالاستيلاء على أراض فى الشرق. وتنحى "صالح" فى خطة انتقال سياسى فى ٢٠١٢ ليخلفه عبدربه منصور هادى كرئيس مؤقت، وليشرف على حوار وطنى لصياغة دستور جديد. لكن هجمات تنظيم القاعدة لم تتوقف خلال عامى ٢٠١٣ و٢٠١٤ فى جميع أنحاء اليمن، فضلا عن سيطرة ميليشيا الحوثى على صنعاء فى سبتمبر ٢٠١٤ بمساعدة الرئيس صالح، الذى انقلب عليهم لاحقا فى عام ٢٠١٧ وهو ما دفعهم إلى قتله، لتتمدد ميليشيا الحوثى بعد ذلك فى البلاد، مع عدم اكتراثها بمسار الحل السياسى الذى ترعاه الأمم المتحدة.

وحول تعقد واستدامة الأزمات والصراعات بالقياس للدول الخمسة محل الدراسة، يشير عدلى إلى أن جميع الجهود التى بذلت لحل الصراع السورى على مدار السنوات الماضية فشلت جميعها فى التوصل لحل رغم تعدد المنصات التى سعت لذلك مثل منصات جنيف والأستانة وسوتشي. وثمة تناقض صارخ فى الحالة السورية على وجه التحديد، حيث تقوم دول عديدة برعاية تحركات تستهدف التوصل لحل سياسي، فى حين أن تحركات هذه الدول على الأرض فى سوريا تؤكد استحالة التوصل لحل سياسى أو أنه ليس من مصلحة تلك الدول التوصل لحل من الأساس، ما لم يحفظ لها هذا الحل مصالحها. ونلاحظ فى هذا الصدد أن نموذج التعاون الثلاثى الذى برز بين روسيا وتركيا وإيران فى سوريا فى السنوات الأخيرة تحكمه الصيغة التكتيكية وليس الاستراتيجية، حيث تؤمن الأطراف الثلاثة بأن هذا التعاون تم فى ظروف ولأسباب معينة، على رأسها معارضتهم للتحركات الأمريكية فى سوريا، وبالتالى سينفض هذا التحالف عاجلا أم آجلا طالما أن دوافعه مصلحية ووقتية.

وبالنسبة للحالة العراقية، فيلاحظ أن الدولة والمجتمع يعيشان فى حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار منذ سقوط نظام الرئيس صدام حسين فى عام ٢٠٠٣ ولم يتم تحديد طبيعة العلاقة الدقيقة بينهما إلى هذا الوقت، حيث تحمل مليشيات مسلحة عديدة السلاح وتنازع الدولة فى وظائفها الرئيسية ومسألة احتكارها للعنف، كما أن القوى السياسية لم تتوصل حتى الآن إلى صيغة يمكن من خلالها تداول السلطة بشكل سلس وسريع. وقد شهدت جميع الفعاليات الانتخابية التى جرت فى البلاد إشكاليات عديدة وصراعات سياسية تخللها العنف بطبيعة الحال. ولا تزال تشعر بعض المكونات، وتحديدا السنية، بالظلم والتهميش الذى كان أحد أسباب توفير الحاضنة التى استغلها داعش للتمدد فى البلاد، ولا تزال هذه الحاضنة موجودة، بما يعنى أن فرص عودة داعش القوية أو ظهور تنظيمات إرهابية أخرى لا تزال موجودة.

فرصة مواتية للإرهاب

يؤكد عدلى أن الصراعات المترابطة توفر فرصة مواتية للتنظيمات الإرهابية للنشاط بشكل أكبر، حيث تجيد التنظيمات الإرهابية استغلال هذه الظروف، كما أن طول فترة الحروب يوفر فرصة للمتطرفين للتحول لإرهابيين اتساقا مع السياق الذى تغلب عليه الطبيعة الدموية. فمثلا، جاء إعلان تنظيم داعش فى ١٠ يونيو ٢٠١٤ عن السيطرة على مدينة الموصل، وقيام ما يعرف بالدولة الإسلامية فيها، بعد صراع بين القوى السياسية السنية وحكومة رئيس الوزراء الأسبق نورى المالكى لما يزيد عن عام. وفى الحالة اليمنية، بجانب النشاطات الإرهابية التى تقوم بها ميليشيا الحوثي، سواء فى الداخل اليمنى أو على مستوى الشرق الأوسط، فإنه من الملاحظ تصاعد نشاط تنظيم القاعدة فى جزيرة العرب بشكل ملحوظ فى المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا وذلك بعد فترة من الخمول، حيث شن التنظيم سلسلة من الهجمات كان أعنفها مقتل ما لا يقل عن ١٠ جنود يمنيين وإصابة آخرين فى ٢٣ يونيو ٢٠٢٢ فى هجومين منفصلين فى جنوب اليمن. وكانت التنظيمات المرتبطة بتنظيم القاعدة، وعلى رأسها تنظيم القاعدة فى جزيرة العرب، قد تشجعت للقتال وتصعيد نشاطها فى أعقاب سيطرة حركة طالبان على السلطة فى أفغانستان فى أغسطس ٢٠٢١ حيث قال تنظيم القاعدة فى جزيرة العرب فى رسالة تهنئة وجهها لطالبان: "هذا الانتصار والتمكين يكشفان لنا أن الجهاد والقتال يمثلان الطريقة الشرعية والقانونية والواقعية لاستعادة الحقوق وطرد الغزاة والمحتلين".

وبالنسبة للحالة الليبية، استغل تنظيم داعش مثلا الصراع الدائر فى البلاد للإعلان عن تأسيس فرع له هناك فى نوفمبر ٢٠١٤ وقسم التنظيم هذا الفرع لثلاث ولايات، هى "ولاية برقة" و"ولاية فزان" و"ولاية طرابلس"، من أجل تعزيز قدرته على شن الهجمات الإرهابية. وقد واصلت الأمم المتحدة التحذير من تبعات النشاط الإرهابى فى ليبيا، حيث أشار أمينها العام أنطونيو غوتيريش، خلال اجتماع لجنة الأمم المتحدة لتنسيق الاتفاق العالمى لمكافحة الإرهاب فى يونيو ٢٠٢٢ إلى أن "الجماعات الإرهابية تستغل النزاعات وهشاشة الدولة"، مضيفا أن "الإرهاب فى الدول المتضررة مثل ليبيا والكونغو والصومال أدى إلى تقويض جهود السلام وإعاقة التنمية وتصعيد العنف".

ويخلص إلى أنه دائما ما تتدلع الصراعات فى دول أو مناطق تتسم بالهشاشة الشديدة، وتشمل تلك الهشاشة الدولة والمجتمع على حد سواء. وتوفر هذه الأوضاع فرصة للأطراف التى تستفيد من ربط الصراعات ببعضها بعضا لتحقيق أهدافها من وراء ذلك، حيث لا تجد هذه الأطراف مقاومة رسمية أو شعبية لخططها ولتحركاتها. وتتمثل أبرز المؤشرات المعبرة عن الهشاشة فى بؤر الصراعات فى غياب التماسك المجتمعى أو العرقي. كما تعانى البؤر التى تعايش صراعات فى الغالب أوضاعا سياسية غير مستقرة نتيجة الخلافات الممتدة على السلطة بداخلها، حيث يوفر غياب الاستقرار السياسى مناخا داعما لحدوث مثل هذه الصراعات، سواء بين أطراف داخل الدولة أو بين الدولة ودولة أخرى، فضلا عن عجز الدولة عن القيام بوظائفها الأساسية. كما يوجد حضور واسع لمن يعرفون باسم "مفسدى السلام" فى الصراعات الحالية، ويشار إليهم بأنه ممن يثبت عرقلتهم المتعمدة لمحاولة إنهاء الصراعات وبلوغ السلام. ويخلف كل صراع تداعيات سلبية خطيرة على مستويات ثلاثة: المحلي؛ حيث الموقع الذى يجرى فيه الصراع، والإقليمي، والدولي. وبطبيعة الحال، فإن حجم التداعيات على المستوى المحلى أكبر من نظيرتها على المستوى الإقليمي، والذى تكون التداعيات فيه أكبر من المستوى الدولي.

وبجانب التداعيات السلبية التى تخلفها الصراعات على البؤر والمناطق التى تحدث فيها، فإن تداعياتها تتسع لتؤثر بشكل سلبى على الاستقرار الإقليمى والدولي. كما تترك الصراعات تأثيرات على هيكل النظام الدولي، فوجود سياسات وتحركات متعارضة بين أطراف لها ثقلها الدولى فى الغالب فى أكثر من صراع بنفس النمط هو أمر يؤدى إلى زيادة مستوى الاستقطاب والعداوات الإقليمية والدولية. وفى ضوء أن هذه الدول هى المؤثرة فى النظام الدولي، فإن الطبيعة الصراعية بينها قد تؤدى لتداعيات كارثية على العالم بأسره.

قراءة: محمد الحمامصي